

التنوع اللغوي في العالم العربي بين الضرورة الحضارية والواقع العولمي

أ. د. عبد القادر تومي

الملخص

تواجه البلدان العربية، في الآونة الأخيرة تحديات قوية فرضتها ظروف الانفتاح الثقافي والفضائي على منظوماتها التربوية والتعليمية، و كان لزاماً على المتقنين والخبراء أن يعيدوا النظر في مسألة الحفاظ على القيم الوطنية وتكييفها مع المتغيرات الجديدة خاصة في ما يتعلق بالتنوع اللغوي أمام التهديدات التي فرضتها العولمة، من خلال المنظومة اللغوية المتحكمة في مقاليد الأمور، ومن خلال التراكم المعرفي والعلمي المتدفق عبر اللغة والإعلام المهيمنين.

وما أوجنا في زمن العولمة وأمام الزخم الفضائي من خلال السماوات المفتوحة أن نستفيد من التوظيف الجيد والشامل، لما وفرته وسائل الإعلام الحديثة في الحفاظ على اللغة العربية، وتسخيرها لخدمة الثراء اللغوي والخصوصيات الثقافية والتاريخية، ولجعلها قيمة حضارية بحيث لا تتعارض مع القيم الإنسانية النبيلة.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في البحث عن حقيقة الواقع العربي اتجاه التعدد اللغوي ضمن صيرورة تاريخية تتجاذب فيها أطراف صراع حضاري يطال اللغات والقوميات.

الأسئلة التي سوف تجيب عنها الدراسة:

س١ - أين يتموقع التعدد اللغوي في العالم العربي، وكيف يتم التعااطي معه؟

س٢ - هل التعدد اللغوي ضرورة حضارية أم خضوع لتهديدات العولمة؟

مقدمة

إن الخوض في المسائل الفلسفية يقتضي البدء بتحديد المصطلح وضبطه، لأن ذلك يسهل درء الغموض ورفع اللبس، ذلك أن عدم تحديد المصطلح يصعب الوصول إلى النتيجة، لأنها حمالة أوجه.

إن التنوع اللغوي الذي سنقصده في حديثنا هو ما يدور حول الإقرار والاعتراف بوجود لغات أخرى يتكلمها أناس آخرون تتقاسم معنا الكثير من القيم الإنسانية المشتركة التي توفر الإطار الكامل من أجل الحوار النافع والجدل البناء والعمل المشترك، أولاً، لمواجهة التخلف الواضح، و الفقر الشديد، والجهل الكبير، والتعصب الخانق، والظلم وعدم التسامح، سواء أكان ذلك مبنياً على الدين، أم الجنسية، أم العرق أم الثقافة أم الجنس، وثانياً لمخاطبة تحديات العولمة بشكل خلاق، والاستفادة من الفرص التي يمكن أن توفرها ١.

كما أن العولمة التي نقصدها في حديثنا في هذا المقام هي ما يقصده كل من هانس بيتر مارتن (Peter Martin Hans) و هارالد شومان (Harald Schuman)، صاحباً كتاب فح العولمة بتحديد هـا للعولمة كونها لا تخرج عن فعل التمييط الشامل فهي: "عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد في التعبير والأكل والملبس والعادات والتقاليد" ٢.

التنوع اللغوي وقيمه كتراث مشترك للإنسانية

إذا كان التنوع اللغوي عامة سنة من سنن الكون لأن الحياة أساسها التنوع و التعدد، حيث ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: " و

من آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم^٣ واختلاف الألسن يعني تعدد القوميات واختلاف الألوان يعني تعدد الأجناس البشرية وهذا ينجر عنه اختلافات أخرى في أنماط المعيشة، فإن التنوع اللغوي والديني يؤديان إلى التعدد والإسلام كدين سماوي يتضمن اعترافاً باختلاف الناس ويحترمهم في لغاتهم وعاداتهم وأديانهم كما قال تعالى: "لا إكراه في الدين"؛ لأن الله هو الذي خلق هذا الاختلاف والتميز ولكن دعاهم إلى التعارف والتعاون على ما فيه خير الإنسان والالتقاء في دائرة "العالمين" من خلال احترام كل الهويات الثقافية.

ومن بلاغة توصياته المتكررة، ينشد الكتاب الإسلامي تضييق فكرة أن الناس أسرة واحدة: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

إن التنوع اللغوي باعتباره التراث المشترك للإنسانية ضروري للتجمع البشري ضرورة التنوع البيولوجي للكائنات البشرية، لأنه أفضل ضمان للسلام، ومعه تتجدد القناعة الراضة لمقولة حتمية النزاع بين الحضارات، لذلك لا بد من صيانة هذا التنوع والدفاع عنه كما تجليه رسالة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

إن التنوع في نظر الدين الإسلامي، له غايته وحكمته، كما أن تحقيق الخير للناس وتعزيز الفضيلة بينهم وتثبيت العدالة لتصبح عنواناً لتصرف المرء، بصرف النظر عن معتقده أو عرقه ولونه أو جنسه أو وضعه المادي في المجتمع يتطلب إبعاد كل المصالح الفردية أو العائلية الضيقة. ودفع السوء والظلم بالتي هي أحسن هي العلامات الحقيقية للتقوى. هذا هو التحدي الذي يطرحه القرآن ليس على المسلمين فحسب، بل على الناس من جميع الأديان، الذين لهم قوانينهم الخاصة التي يتقيدون بها، والتوجيهات التي يتبعونها.

الحضاري على أساس أن الحضارة تنشأ بفعل الفكرة الدينية إذ يقول الله عز وجل أيضاً: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات"^٥. من هنا نخلص إلى القول: "إنه إذا كان التنوع اللغوي سنة الله في خلقه فإن الذي يحاول فرض لغة وثقافة واحدة على الآخرين بالقوة يتصادم مع سنة الله في الكون ويهدد هذا الوجود.

إن احترام التعددية في التقاليد الدينية من خلال الأسرة الإبراهيمية، تُعزِّز أيضاً، في الوحي الإسلامي: "إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير"^٦.. ولزيد من التأكيد يتابع هذا الوحي القرآني: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"^٧.

العولمة اللغوية :

يقصد بالعولمة اللغوية الانتشار العالمي للغة ما وهيمنتها على غيرها من اللغات. إن اللغة باعتبارها وسيلة اتصال البشر بعضهم ببعض أصبحت أهميتها في عصر العولمة أكثر مما كانت عليه،^٨ فهي من أهم الأركان التي تتأسس عليها الثقافات. والاعتزاز باللغة ليس وليد الاعتزاز بذات اللغة، وإنما اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة، ومن هنا كانت الدعوة لاعتبار اللغة مقوماً أساسياً من مقومات الأمة كما هي عند الألمان.٩. والواقع أننا نجد الأمم التي تحافظ على وحدة لغتها هي أكثر استقراراً من غيرها، وانطلاقاً مما سبق ندرِك خطورة هيمنة لغة أجنبية على لغة أصلية خاصة إذا كانت اللغة الواحدة أقوى وتعبّر عن ثقافة الغالب ففي هذه الحالة فإنها تدمر ثقافة المغلوب على المدى البعيد. كما أن اللغات غير الإنجليزية في بعض الدول الأوروبية، تبحث عن المكانة التي تليق بمقامها، لقد عملت فرنسا على تجنيد الدول الفرنكفونية، وتجهزت مع كندا للعب الدور الرئيس في موضوع تقوية التعددية بمساهمة الجمعيات والمنظمات المختلفة^{١٠}

اللغة :

لا يختلف اثنان في أن اللغة التي فرضت وجودها وانتشرت بسرعة فائقة هي اللغة الإنجليزية، "فحوالي ثلث سكان العالم يستخدمون اللغة الإنجليزية"^{١١}.

ويعود السبب في ذلك إلى قرون الاستعمار الإنجليزي، ودور الإعلام في الترويج لهذه اللغة، بالإضافة إلى استخدام هذه اللغة في مختلف المحافل الرسمية التابعة للمنظمات الدولية. وقد صاحب انتشار اللغة الإنجليزية انتشار للثقافة والقيم الاستهلاكية الأمريكية على نطاق واسع خاصة الأغاني والموسيقى الأمريكية التي دفعت الشباب لتعلم اللغة الإنجليزية وهي الأداة الموصلة للقيم الغربية مادامت

اللغات الأخرى لم يستطع أصحابها منافسة هذه اللغة.

وقد نشرت صحيفة لوموند الفرنسية في شهر مارس من عام ٢٠٠٦ مقالا يبرز فيه صاحبه "إن هيمنة اللغة الوحيدة هي تهديدا للفرنسيين". ١٢. ودعا الكاتب إلى ضرورة النضال ضد هذا التهديد. " ويتوسع هذا التهديد لرفض الرؤية الثقافية الأحادية والعمل على التنسيق بين مختلف الثقافات الأوروبية باعتبار تشاركتها في إرث ثقافي تاريخي" في إطار مفهوم أوربا الموحدة تسعى المجموعة الأوربية إلى بلورة ثقافة أوروبية واحدة تعمق الانتماء الثقافي والإرث التاريخي الذي يدعم مساعي الاندماج الثقافي "١٣. ومن مظاهر عولمة اللغة الانجليزية أنها أصبحت لغة الانترنت، كما يوضحها الجدول الموالي:

اللغات الأكثر استعمالا في الانترنت حسب آخر الإحصائيات نوفمبر ٢٠١٥

Top Ten Languages Used in the Web - November 30, 2015					
(Number of Internet Users by Language)					
TOP TEN LANGUAGES IN THE INTERNET	Internet Users by Language	Internet Penetration (% Population)	Users Growth in Internet (2000 - 2015)	Internet Users % of World Total (Participation)	World Population for this Language (2015 Estimate)
<u>English</u>	872,950,266	62.4 %	520.2 %	25.9 %	1,398,283,969
<u>Chinese</u>	704,484,396	50.4 %	2,080.9 %	20.9 %	1,398,335,970
<u>Spanish</u>	256,787,878	58.2 %	1,312.4 %	7.6 %	441,052,395
<u>Arabic</u>	168,176,008	44.8 %	6,592.5 %	5.0 %	375,241,253
<u>Portuguese</u>	131,903,391	50.1 %	1,641.1 %	3.9 %	263,260,385
<u>Japanese</u>	114,963,827	90.6 %	144.2 %	3.4 %	126,919,659
<u>Russian</u>	103,147,691	70.5 %	3,227.3 %	3.1 %	146,267,288
<u>Malay</u>	98,915,747	34.5 %	1,626.3 %	2.9 %	286,937,168
<u>French</u>	97,180,032	25.2 %	709.9 %	2.9 %	385,389,434
<u>German</u>	83,738,911	87.8 %	204.3 %	2.5 %	95,324,471
TOP 10 LANGUAGES	2,632,248,147	53.5 %	787.0 %	78.2 %	4,917,011,992
Rest of the Languages	734,011,909	31.3 %	1,042.9 %	21.8 %	2,342,890,251
<u>WORLD TOTAL</u>	3,366,260,056	46.4 %	832.5 %	100.0 %	7,259,902,243

كما أصبحت الانجليزية اللغة الثانية في اغلب بلدان العالم وقد بلغ عدد المتحدثين بها عام ٢٠١٥م قرابة بليون شخص ، ومن مظاهرها أيضا انحسار نطاق بعض اللغات المحلية وقد أفادت بعض الدراسات لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة أن نصف اللغات المحلية في العالم هي في طريقها إلى الزوال مما يهدد الثقافات والبيئة في آن واحد.

إحصائيات الاستعمال اللغوي في الانترنت حسب الجهات إحصائيات ٢٠١٥ .

WORLD INTERNET USAGE AND POPULATION STATISTICS						
NOVEMBER 30, 2015 - Update						
World Regions	Population (2015 Est.)	Population % of World	Internet Users 30 Nov 2015	Penetration (% Population)	Growth 2000-2015	Users % of Table
<u>Africa</u>	1,158,355,663	16.0 %	330,965,359	28.6 %	7,231.3%	9.8 %
<u>Asia</u>	4,032,466,882	55.5 %	1,622,084,293	40.2 %	1,319.1%	48.2 %
<u>Europe</u>	821,555,904	11.3 %	604,147,280	73.5 %	474.9%	18.0 %
<u>Middle East</u>	236,137,235	3.3 %	123,172,132	52.2 %	3,649.8%	3.7 %
<u>North America</u>	357,178,284	4.9 %	313,867,363	87.9 %	190.4%	9.3 %
<u>Latin America / Caribbean</u>	617,049,712	8.5 %	344,824,199	55.9 %	1,808.4%	10.2 %
<u>Oceania / Australia</u>	37,158,563	0.5 %	27,200,530	73.2 %	256.9%	0.8 %
<u>WORLD TOTAL</u>	7,259,902,243	100.0 %	3,366,261,156	46.4 %	832.5%	100.0 %

الانفتاح اللغوي ضرورة حضارية؛

إن التنوع اللغوي باعتباره التراث المشترك للإنسانية ضروري للتجمع البشري وقال المهدي المنجرة عن أطروحته الحرب الحضارية ١٥ مخالفا لفكرة هانتغتون القائلة بصدام الحضارات " يعتبر هانتغتون أن البذرة الوراثية موجودة في الحضارات وفي نظري ليس ثمة ثقافة تولد أصلا عدوانية أو لتصارع حضارة أخرى" ١٦ وهذا النص وان كان يتضمن رفضا للصراع الحضاري كما بينه هانتغتون فان المنجرة يقول بفكرة الحرب الحضارية التي أعلنتها القوى الغربية على مخالفيهم في حضارتهم.

كيف يمكن المحافظة على التنوع اللغوي؟

تعتبر التعددية الثقافية على مستوى اللغة والثقافة ثروة كبيرة في يد الشعوب يجب المحافظة عليها ، وقد أشارت منظمة اليونسكو إلى ضرورة المحافظة عليها حيث نصت المادة الأولى من الإعلان الصادر عنها في ١٩٦٦/١١/٢ على أن لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما، ومن حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته. ١٧. ونظرا لخطورة اختلال التوازنات الثقافية عندما تضعف اللغات والثقافات أو تمارس عليها الهيمنة المذبية لها، فإن مختلف المنظمات الثقافية حذرت من اختفاء ثقافة من الثقافات العريقة. وهذا بطرس غالي أمين عام للمنظمة الفرنكوفونية يقول متحدثا عن أهمية التعددية الثقافية: "هدفنا الدفاع عن التعددية الثقافية، التعددية اللغوية، فلو سيطرت لغة واحدة على المجتمع الدولي فإن ذلك سيؤدي إلى إضعاف اللغات الأخرى، وهذا خطأ كبير وخطير. فاللغات هي في رأي بمثابة التراث الإنساني، و ثراء المجتمع الدولي قائم على تلك التعددية و كما أن هناك منظمات دولية أنشئت للدفاع عن البيئة و عن بعض النباتات و بعض الحيوانات، يجب أيضا الدفاع عن الحضارات و عن الثقافة و عن التعددية الحضارية". ١٨. فعلا فإن التنوع اللغوي مصدر ثمين من مصادر قوة الإنسانية لذلك ينبغي المحافظة عليه.

لكن التحدي الحقيقي الذي يواجه الشعوب في سيادتها الثقافية، هو أن بعض الثقافات القوية، استطاعت التأثير في متلقيها (الثقافة الاستعمارية) و بالمقابل اندثر بعض الثقافات الضعيفة و الجامدة (التي لا تقدم إنتاجا)، و هذا ما يشكل خطرا على التنوع الثقافي، وفي هذا المجال يقول أحد الكتاب " إن الإنتاج الثقافي و احتكار الرموز والقيم هما أبرز ما يطبع النظام العالمي الرأهن على مستوى إنتاج و توزيع الثقافة. ولقد انتقل النظام الرأسمالي في هذه المرحلة من طور تعميم القيم الاقتصادية والعلاقات الإنتاجية الرأسمالية ومن طور الأنظمة الاقتصادية الليبرالية إلى طور تعميم القيم الثقافية للمجتمع الغربي، بوصفه (أي التعميم) آلية من آليات إعادة إنتاج هيمنة النظام الرأسمالي على الصعيد العالمي. ١٩. ولقد استفاد النظام الرأسمالي جيدا من الثورة الإعلامية المعاصرة، ووظفها أمثل توظيف في سبيل تحقيق ذلك التعميم أو " العولمة" للقيم الثقافية الغربية. فالمؤسسات الإعلامية الضاربة تكفلت بتحطيم الحدود القومية والحواجر و السياسات الثقافية الحمائية، لكي تكسح المجال العالمي بالصوت والصورة و توحد الرموز والأذواق و المعايير والقيم". ٢٠. ويشهد واقع اليوم على طابع الاستلاب للنظام العالمي الجديد.

الانفتاح الثقافي يعني التفاعل على أساس الاحترام، والمحافظة على التنوع الثقافي في كل زمان ومكان. ويعني استغلال جميع الفرص التي تتيحها العولمة من أجل تجديد الثقافات بجعلها حية، ومعطاء تبرز الخصوصيات بشكل تفاعلي، لا يلغي الآخر في ثقافته. ولعل التطورات التقنية الحاصلة على مستوى الاتصال و المعلومات، تساعد على تقارب الثقافات مع بعضها، وهو ما يعمق الوعي الحضاري عند كل الشعوب ويجعلها أكثر قربا من بعضها. لكن من سلبيات هذا الانفتاح الثقافي أن يتحول إلى هيمنة ثقافة على أخرى بإلغائها، أو إذابة خصوصياتها، ومن هنا اعتبرت مشكلة الهوية من اعقد المشاكل في العصر الحديث، ٢١ وهذا ما ينطبق على محاولة الولايات المتحدة الأمريكية استغلال تفوقها في مختلف مجالات الحياة، وجعل العولمة وسيلة للقضاء على التنوع الثقافي، بفضل التصميم الكبير للنموذج المعادي للتعددية الثقافية، والمغني للتمايز والشخصية المستقلة، والذي يحول الإنسان إلى مجرد مستهلك مستلم ومشاهد متلق يتم ترويضه على النمط الواحد.

وفي هذا السياق يقول عبد الاله بلقرز: " ما يؤاخذ على العولمة تميؤها للأخلاق وقضاؤها على الثقافات لصالح تكوين حضارة مادية تكرر هيمنة وسيطرة الأطراف القوية وهو ما يستثير رد فعل قوي من جانب الهويات الوطنية". ٢٢

سيطرة الثقافة الأمريكية واللغة الانجليزية على سائر اللغات:

لقد عملت الإنترنت و القنوات الفضائية على تغيير أوضاع العالم فأصبح الناس يعيشون في قرية صغيرة و تحول هذا الكوكب إلى مسرح مفتوح على كل الجهات. يمكن لأي واحد أن يتصل بالآخر بالصورة والصوت، غير أن أهم ميزة فيه هي غلبة دور البطل في هذا المسرح، و البطل هنا يقوى دوره على حساب ضعف الأدوار الأخرى. وقال احد الكتاب مبرزا الدور الأمريكي البارز في العولمة الجديدة: " ليس ما يفترضه الجميع خطأ على الدوام. ثمة في الحقيقة ثقافة كوكبية ناشئة، وهي بالفعل أمريكية إلى حد كبير من حيث الأصل والمحتوى". ٢٣.

ليس غريباً على السياسات والتوجهات المعاصرة للأقوياء أن تعمل على نشر القيم التي تساعد على تحقيق جميع أهدافها. لا سيما بعد أن أصبح العالم محكوماً بسياسة قطب وحيد كسب الحرب الباردة وهزم الاديولوجيات المناوئة له وتقوى في مختلف المجالات الصناعية والتقنية والمعلوماتية، وهي عناصر لها أهميتها الواضحة، كما أشار إلى ذلك أحد الكتاب في حديثه عن مميزات العولمة الثقافية: "إن أهم ما يميز العولمة الثقافية المعاصرة قوة الوسائل التقنية المستخدمة في الإنتاج والبت والتوزيع الخاص بالمنتجات الثقافية"^{٢٤}

فالثقافة الأمريكية هي ثقافة قوية وتعمل على إقصاء الثقافات الأخرى المحلية الآيلة نحو الدونية والتلاشي، وهذه السيطرة هي التي يعبر عنها بأمركة العالم، والتي تجلت بكل صراحة على أفواه بعض المسؤولين الأمريكيين وهذا الرئيس الأمريكي جورج بوش يقول: "أن القرن القادم سوف يشهد انتشار القيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي"^{٢٥} إن أمريكا تعمل على فرض التبعية الثقافية من خلال غزو الثقافات الأخرى، وتخريب قيم الآخرين بعد التشكيك فيها باستقطاب الأجيال الصاعدة عن طريق دغدغة المشاعر، والتحكم في الميول والأذواق، مستغلة في كل هذا تفوقها العلمي والتقني وسيطرتها العسكرية والسياسية. ويلعب التلفزيون دور مهم في تبليغ الثقافة وفي الحالة التي تعترف بوجود ثقافة قوية فإن الخطر كله يكمن في العيش داخل ما يعرف بالامبريالية الثقافية.^{٢٦}

وفي هذا المجال تتحدث الكاتبة الأمريكية عن هيمنة الثقافة الأمريكية فتقول: "أن أمركة الثقافة العالمية تكشف عن الأذواق الثقافية للعالم."^{٢٧} وبذلك لا تفرق بين ما يرغب في مشاهدته الجمهور الأمريكي، وبين ما ترغب في مشاهدته الجماهير الأخرى في العالم. من أسسط الأدلة على اجتياح الثقافة الأمريكية حسب تقرير لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ان أمريكا تصدر ١.٢ مليون ساعة من البرامج التلفزيونية. وفي دراسة أخرى لليونسكو تجاوزت الإنتاج الأمريكي في تلفزيونات العالم ثلاثة أرباع ذلك البث أي بنسبة ٨٥٪ وتوزع نسبة الجزء الباقي بين الإنتاج المحلي وبين الإنتاج غير الأمريكي و ٨٨٪ من معطيات الإنترنت تبث باللغة الإنجليزية مقابل ٩٪ بالألمانية و ٢٪ بالفرنسية و ١٪ تتوزع على اللغات الأخرى، كما تذكر بعض الإحصائيات أن ٨٠٪ من إيرادات دور السينما هي من الإعلام الأمريكية و ٦٠٪ منها ما يعرض في فرنسا.

هكذا تنتشر الصورة الأمريكية في العالم بشكل كبير ولا يعقل أن الصور الأمريكية بريئة بل العكس هي تحتل جوهر الثقافة الأمريكية وبالتالي فهي تركز قوة النظام الأمريكي الذي يتجلى في النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية ولعل ما يقف وراء انتشار هذه الثقافة بهذا الشكل هو خصوصية المجتمع الأمريكي وخصوصيته الثقافية.

-فهو (المجتمع الأمريكي) منفتح كثيراً، قابل للعطاء والتغيير والتجديد وقادر على الإبداع في كل حين.

الثقافة في أمريكا متنوعة بتنوع الأجناس ومتعددة بتعدد المجتمعات خارج أمريكا هذا ما يساعدها على الانتشار خارج أمريكا. التراث الأمريكي مرن وما زال يتشكل إلى الآن.

و السؤال الذي نطرحه الآن: ماهي مخاطر سيطرة الثقافة الأمريكية؟

إن سيطرة ثقافة ما على ثقافات أخرى هو خطر استراتيجي يهدد الاستقلال الاقتصادي والسياسي والهوية الثقافية.

إن ما يدل على هذه الخطورة هو مناهضة فرنسا لما نسميه بالأمركة... ولذلك فهي تحصن نفسها بمجموعة من الإجراءات حيث فرضت على التلفزيون تخصيص ٦٠٪ من برامجه للإنتاج الأوروبي خوفاً من طغيان الإنتاج الأمريكي على الفرنسيين كما حجبت المساعدات المالية على التظاهرات الثقافية الفرنسية التي لا تجعل اللغة الفرنسية لغة أعمالها.^{٢٨}

وفي هذا الجانب لا نغفل أن نسجل أن سيادة ثقافة ما على أخرى لا تكون حسب التفوق القيمي والأخلاقي والإنساني على غيرها وإنما يرتبط بقبالية الثقافات الضعيفة على الدوبان وكذلك التبعية والاندماج الذاتيين في الثقافة المسيطرة وفق شعار ابن خلدون: "المغلوب مولع بتقليد الغالب"^{٢٩} هذا بالإضافة إلى مقدرتها على الإبداع وفق الإستراتيجية التي تمكنها من الاستمرارية والمشاركة وليس الانغلاق على الذات وإعادة إنتاج ثقافة ماضية رافضة ومحتجة على الثقافة الغربية .

وهنا يمكن الإجابة على أولئك الذين يربطون الهوية بالماضي فقط فهم يخافون من العولمة التي تعمل على تمييط القيم والأفكار وتوحيد المنتجات الثقافية، غيران مفهوم الهوية أوسع واشمل من الارتباط بالماضي وبما تم انجازه. والحقيقة أن الهوية ترتبط أيضاً بالمستقبل، وبطموح الأمة وأمالها في بناء مستقبلها من خلال استثمار مكتسبات الماضي. وقد عبر احدهم عن هذه الفكرة في قوله: " إن

التحولات الكونية قد ألفت بنا في آتون آلة حضارية جهنمية لا نملك أن نقف قبالتها عند حدود النظر إلى عجائب تركيبها، وطرائق عملها، وفعلها، مأخوذين بالدهشة والاستعراب أو الذعر فحسب إن كل شيء يوجب إن كانت الحياة تعني لنا شيئاً، وإن كان البقاء أمراً يشغل بالنا، ويقلق راحتنا، أن نשוב أنظارنا إلى ما يحدث، وإن نبعد الآليات الفاعلة التي تهيب لنا استجابات مطابقة تعين على الحياة، وعلى استمرار الوجود في شروط أمانة لنا نحن وللآتين من بعدنا ممن يمتون لنا بروابط خاصة في تلك التي نتكلم عليها، ونحيل إليها في كل مرة نريد أن نعرف بأنفسنا وخصوصياتنا الشخصية أو التاريخية أو الحضارية أو الإنسانية قبالة الآخرين والآخرين^{٢٠}

نستخلص مما سبق أن العولة لا تهدد الهوية إلا بالنسبة لرؤية تربط الهوية بالماضي وتعتبرها معطى جاهزا أو مكتملا بينما الهوية كما ترتبط أيضا بالمستقبل كذلك أي بطموح الأمة وأمالها في البناء والتشييد وصناعة مستقبل يربط الماضي بالحاضر وعبارة أخرى يستتير من الماضي ويستثمر ما هو متاح عالميا وهكذا يكون التحدي أمام الثقافات الضعيفة تحديا مزدوجا أي صراعا ضد السيطرة والهيمنة الخارجية من جهة وصراعا ضد العجز والقصور من جهة أخرى. خلاصة الأمر يمكن القول أن المعارك الثقافية التي تخوضها المجتمعات، دفاعا عن تراثها، وتقاليدها، ولغتها، ودينها، أعمق تجربة تحريرية تحاول بها تجاوز الرواسب الماضية من جهة، وآليات الاستلاب الفكري، والهيمنة الإيديولوجية من جهة أخرى. كما أن البعد الثقافي هو معيار أولى لتحديد طبيعة مجتمع ما. وترتكز عليه أية محاولة للتحرر أو التغيير الاجتماعي أو التنمية المستقلة، ولذلك يجتهد المجتمع المثقف لمواجهة الخطاب الثقافي الهيمني، وإذا غاب هذا الخطاب الثقافي النقدي، في مجتمع ما فإنه يكرس الاستلاب واللافاعلية، وهذا ما يسهل لنظام العولة تطبيق فعل الاندماج الثقافي المطلق للغرب.

إن تدمير الثقافات المستضعفة يسهل للعولة إحلال ثقافات أخرى تروج لمختلف البضائع المراد تسويقها، وتعلن عن القيم الجديدة التي تخدم الرأسمالية.

مراجع الدراسة

- ١- أحمد أمين. الإسلام كعامل في المدنية. مجلة الرسالة، س٤، ع١٤٦ و١٤٧، ١٩٣٦.
- ٢- باسم علي خريسان، العولة والتحدي الثقافي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١.
- ٣- برهان غليون، "العرب وتحديات العولة الثقافية"، محاضرة أقيمت في المجمع الثقافي، أبو ظبي، في ١٠/٠٤/١٩٩٨م
- ٤- بطرس غالي، "هدف الفرنكتونية: الدفاع عن التعددية الثقافية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣٢، سنة ١٩٩٨.
- ٥- التلمساني، أحمد بن محمد المقرئ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب/ تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر، ١٩٨٨.
- ٦- سيار الجميل، العرب والعولة، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٨ شباط ١٩٩٨.
- ٧- السيد عبد العزيز سالم. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة. - الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩١.
- ٨- شوقي ضيف. العصر العباسي الأول. ط٦. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤. (سلسلة تاريخ الأدب العربي-٣).
- ٩- عامر ابراهيم قنديلجي، ايمان فاضل السمراني، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها، ط١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٢.
- ١٠- عبد الاله بلقزيز "العولة والهوية الثقافية عولة الثقافة أم ثقافة العولة" مجلة المستقبل العربي العدد ٢٢٩-١٩٩٨.
- ١١- عبد الإله بلقزيز، الثقافة العربية أمام تحدي البقاء، مجلة شؤون عربية العدد ٧٩ سنة ١٩٩٤.
- ١٢- عبد الغني عبود. المسلمون وتحديات العصر. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥. سلسلة الإسلام وتحديات العصر
- ١٣- عز الدين فراج. فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٠
- ١٤- عصام الدين محمد علي. آفاق الحضارة الإسلامية والأوربية. - الاسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٣.
- ١٥- قاسم السارة. تعريف المصطلح العلمي، إشكالية المنهج. مجلة عالم الفكر، مج ١٩، ع ٤، يناير / مارس ١٩٨٩.
- ١٦- كارم السيد غنيم. ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين. - القاهرة: الزهراء للاعلام العربي، ١٩٨٩.

- ١٧- محمد الصادق عفيضي. تطوير الفكر العلمي عند المسلمين. - القاهرة: مكتبة الخانجي، د. ت
- ١٨- محمد عابد الجابري العولة والهوية الثقافية، عشر أطروحات ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، العدد ٢٢٨، سنة ١٩٩٨.
- ١٩- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر (العولة). مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧.
- ٢٠- محمد عبد الغني حسن. مدن الحضارات . مجلة الرسالة، س ٩، ع ١٨، ١٩٤١.
- ٢١- هونكة، زيغريد. شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوربة. ط ٨. - بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣.

الهوامش

- ١ - كل الأديان السماوية بلا استثناء جعلت من قضية خدمة الإنسان على الأرض قضيتها الأولى وأنبياؤها جميعا منحازون للفقراء والمظلومين ويحضون على مساعدة المحتاج ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف.
- ٢ - هانس بيتر مارتن و هارالد شومان " فح العولة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة عدنان عباس علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٢٢٨ ، أكتوبر ١٩٩٨ " ص ٥٥-٥٨.
- ٣ - الروم ٢٢ .
- ٤ - البقرة ٢٥٦
- ٥ - المائدة ٤٨ .
- ٦ - فاطر ٢٤
- ٧ - ابراهيم ٤
- ٨ لان الهوية الحضارية للمجتمعات تشكلها اللغة ومادامت الهويات مهددة بالخطر فان الحضور اللغوي أساسي في عصر العولة
- ٩ يعترف الالمان بلغتهم ويعتزون بها ويعتبرون النجاح في أي امتحان مشروط بالنجاح في مادة اللغة الألمانية.
- ١٠ Armand Mattelart, « Bataille à l'UNESCO sur la diversité culturelle », le monde diplomatique du ١٠-١٠-٢٠٠٥
- ١١ - بشار الشداد الحياوي ، لغة العولة ، مجلة المدى . www.almadapaper.com
- ١٢ Claude Hagège, « contre la menace de la langue unique » le monde du ٠٢-٠٣-٢٠٠٦
- ١٣ - انظر محمد علي حوات ، " العرب والعولة شجون الحاضر وغموض المستقبل " ، مكتبة مدبولي، القاهرة. الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص: ١٧٩.
- ١٤ (Global Internet Statistics (by Language
- ١٥ استخدم هذا المصطلح من طرفه يوم ١٥-٢-١٩٩١ في حوار له مع المجلة الألمانية دير شبيغلر، وهو ما يعني انه سبق هنتغتون في الحديث عن الموضوع رغم اختلاف أطروحتيهما.
- ١٦ - المهدي المنجرة، "الاهانة في عهد امبريالية"، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، مطبعة النجاح المغرب، ص: ٢٧، ٢٨.
- ١٧ - باسم علي خريسان، " العولة والتحدي الثقافي". ص: ١٤٠
- ١٨ - بطرس غالي، "هدف الفرائقونية الدفاع عن التعددية الثقافية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٣، سنة ١٩٩٨، ص: ١٥٤ .
- ١٩ - باسم علي خريسان، "العولة والتحدي الثقافي". ص: ١٤٢
- ٢٠ - عبد الاله بلقزيز " الثقافة العربية امام تحدي البقاء " مجلة شؤون عربية العدد ٧٩، عام ١٩٩٤.
- ٢١ Ghassan Salamé, (Christophe Bertram, Nicole gnesotto, Andrew Arato) Agir, entre solidarités et conflits. Colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international .CERI. Paris ٢٠٠٦-٠٢-٠٩
- ٢٢ - عبد الاله بلقزيز، "الثقافة العربية امام تحدي البقاء"، مجلة شؤون عربية العدد ٧٩، سنة ١٩٩٤، ص: ٨٦.
- ٢٣ - بيتر إ.ل. برغر و سامويل، بي. هنتغتون، "عولمات كثيرة ، التنوع الثقافي في العالم المعاصر"، ترجمة فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤. الطبعة الاولى، ص: ١٥.

٢٠٠٥ Jaques Brasseur. un monde meilleur ? pour une nouvelle approche de la mondialisation , édition Armand Colin. Paris ٢٤

٢٣٩ : p.

٢٥ علي عقله عرسان ، "العولمة والثقافة" ، مجلة الفكر السياسي، العدد الخامس، السنة الثانية، شتاء ١٩٩٩، سوريا

Tristan Mattelart. « la mondialisation des medias contre la censure – tiers monde et audiovisuel sans frontières », édition de – ٢٦

٢٩: P ٢٠٠٢ ١er édition – Boeck université – Bruxelles

١٤٥: p ١٩٧٧. ٠٢: °N ٢٧ Ithiel de sola pool. "the changing flow of television" – journal of communication , vol – ٢٧

٢٨ – فهد العراقي الحارثي ، "العولمة عصر سيطرة الثقافة الأمريكية على سائر الثقافات" ، مجلة عالم الاقتصاد، العدد ٨٦.

٢٩ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون دار القلم، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٨٩ ص:١٤٧

٣٠ فهمي جدعان ، "الطريق الى المستقبل" ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص: ٧.